يجيب الساسة والمفكرين من أهل المشورة قبل أن يشيروا عليه بما يحفظ مهجته أو يفضي به الى السلامة ، لأن سياسة الصدق التي كان بطلها الأوحد كانت تفرض عليه الشهادة وما هو محتاج الى غير ذلك لأنه لم يكن يطلب زعامة لا ينكرها عليه أحد ، ولم يكن يطلب ما لا كان يبذله للحفاة والمحتاجين ، ولم يكن يطلب ملكاً دنيوياً هو غني عنه بما انقاد اليه من هذه الزعامة العربية الاسلامية المطلقة ، ولكنه كان يطلب وكانت تطلب له سياسة الصدق شيئاً واحداً هو أن يموت .

ولم يكن يطلب وتطلب له سياسة الصدق الموت إلا لأنه الحياة ، حياة هذا الدين العظيم ذلك هو الحسين السياسي الذي أتاح للدنيا ان تعرف الاسلام وتعظمه ، وذلك هو الحسين السياسي الذي وقف للسيل في منحدره المندفع فرده قادراً قوياً غير مستضعف ولا واهن .

سلام الله عليك أبا عبد الله فهب لنا من روحك هذا العظيم شجاعة تتبختر بنا على مهاد التضحية والايثار ، ومضاء يحملنا على أجنحة الايمان والاعتداد فنحن من حيواتنا الأدبية والاجتماعية والسياسية في مهاب الريح بل الدنيا كلها تستقبل اليوم ما كنت تستقبله من يزيد وبني سمية والزرقاء .

فتنة وغروراً ، وتكالب وما شيء غير المنفعة الخاصة يستدنيه أفراد هذا الزمان وجماعاته وشعوبه وأقطابه ، فليعد روحك هذا العظيم مرة اخرى لنحيا به من جديد .

الحسين المثل الأعلى للاستشهاد

الدكتور عمر فروخ

لم يعرف التاريخ مأساة شغلت الانسانية كمأساة الحسين بن علي (ع) وعهد الانسانية بالمآسي انها نوع من المصائب التي تظهر فجأة عظيمة فادحة ثم تتضاءل ويخف أثرها في كتب التواريخ : تلك هي بلا ريب المآسي الشخصية الفردية التي تنطوي في أول امرها الا على اشفاق من نزلت بهم المصيبة وإلا على عاطفة عارضة في من اتفق له ان يشهدها ، اما مأساة كربلاء فكانت من نوع آخر ، الاستشهاد في سبيل مبدأ انساني قويم ولكن فكرة تلك المأساة لم تزل بل لقد قوي اثرها واتسع صداها والمسلمون لن ينسوا الحسين بن علي بن ابي طالب ذلك الشهيد الذي أصبح المثل الاعلى للاستشهاد في سبيل الدفاع عن المبدأ الحق وكان القدوة الصحيحة لطالبي المثل العليا .

إن شجاعة الحسين بن علي يجب ان تكون حية في قلوبنا حتى نرهب به المعتدي ونرد بها الظالمين . إننا لم ننصف الحسين (ع) مهما عظمت ذكرياتنا ومهما تنوعت تلك الذكريات او تعددت اذا كنا نحيي ذكراه في كل عام بافواهنا وجفوننا فقط ثم لانجعل تلك الذكرى حمية دائمة في قلوبنا وقوة مرهبة في ايدينا .

إن علينا ان نقتدي بسيدنا الحسين ونسير على ضوء منهاجه اللاحب ونهتدي بهديه والسلام عليه .

﴿ دراسة وعرض لأعمال عبد الرحمن الشرقاوي المسرحية الحسينية ﴾

المأساة والأصداء
ثورة الحسين ع

يوسف عبد المسيح ثروت

ها قد بغى الظلم وتوسع واستشرى الشر وتأصل ، وتناهب (السادة) سواد الناس ، في أرزاقهم وأموالهم وضمائرهم ، فساموهم الخسف والذل ، وأخذوهم كل مأخذ ، إذ سقطت هيبة الحكم ، بتناثر الشورى - إثر مقتل ابي الحسنين ، فالتبس الأمر ، وتخاذل القوم ، وارتج على أصحاب الرأي ، بصعود يزيد الى دست العرش القيصري من غير أن يكون للناس إلا الطاعة والخضوع ، والقبول المزري بالحال العابث الجاني والعهد العتيد يتبختر بصولجانه !

وتوالت المصائب يأخذ بعضها برقاب بعض ، فإذا الحوادث المرعبة تتدلى وتدور في غابة كثيفة من ظلام دامس ، وإذا الاختبار العسير ينتظر رجلاً ، مثلاً عز نظيره ، رجلاً صادق العزم ، نبيل التحدي ، جريئاً في الحق ، صامد الايمان ، ثابت الثقة بالنفس وبأتباعه أيضاً ، وكان الحسين مثل هذا الرجل ، عرف الطواغيت ودواخلهم ومساربهم ومخارجهم ، عرفهم أصناماً وأوثاناً جاهلية ، مزوقة بزي جديد ، كله نفاق وخداع ، يضفي على السلطان أبهة الحكم وعلى الرعية ذل الطاعة .

ووقف الرجل في المدينة يتساءل ويتأمل ، ويغرق نفسه في استجلاء الأمور واستقرائها ، بعد ان نال السم من أخيه الحسن ما ناله ، وينهض الحسين بالعبء الثقيل ، ويمتثل الأحداث الجلائل المواضي والأحوال التي تنتظر الأمة ، وقد طعن ربّانها بيد آثمة .

ويطيل التأمل والاستقراء والتوقع والتفكير ، فيرى المشهد المتسربل بالدماء قدامه ، ويجد نفسه في وسط الساحة تحيط به من جهة أكاليل الشهادة الشائكة ، وحرقة العطش ، وفظاعة الإثم ، وجناية الظالمين ، وتعلوه من جهة اخرى نجوم تتلألأ جلالاً وبهاء وسمواً ، إيذاناً بالساعة الحاسمة ، ساعة التحدي والمجابهة ، ومقارعة الظلم والظالمين ساعة الثورة وتحمل المسؤولية : الرجل المليء بالعزم والثقة والصبر والشجاعة ، لا يجد بداً من الانتظار العسير لأن الانحياز للحق والدفاع عن المستضعفين والتصدي للباغين أمور لا بد من امعان البصر والفكر والقلب فيها وإلا انقلب الهدف ، وضاعت الغاية ، وتلاشى القصد . .

ماذا يفعل الرجل وقد أحيط به من كل جهة ، والمحيطون به عصابة من الآبقين برئاسة رجل داهية هو مروان بن الحكم ؟

الظلم يريد ان يركز أقدامه في المدينة نفسها ، برغم وجود الحسين حياً يرزق ، ليثبت

ان هذا الوجود حقيقة واقعة ولا الشورى ، كانت إذا كانت ، تعلة للضعفاء ، ومصيدة للأقوياء ، لأنها ظلت حجة يتلاعب بها الأقوياء ويتحاشاها الضعفاء الذين لم يكونوا موجودين ، إلا للقتال وخوض المعامع ، وسفك الدماء ، لتحقيق أهداف متناقضة ، بحجج فريدة غريبة كانت متشابكة أصلاً . وظاهرة ثورة الحسين ظاهرة طبيعية ، لأنها استنهاض على الجور وانتقاض عليه ، وهي ـ مع ذلك ـ فريدة في بابها لأنها دلالة على ايمان الامام بحق ضائع ايماناً لا يتزعزع ، مهما انتفت ظروف هذا الايمان ، ومهما قل النصير وعز الاتباع والمريدون ، وهذا الايمان المثالي ، حقيقة تدل على اصرار على موقف ، واستماتة من أجل الدفاع عن هذا الموقف مهما تكن النتائج وكيفما مالت الريح . وهذا برهان على بعد نظر أصيل ، ذلك ان القائد ، ولو افتقد جيشه مؤقتاً ، مدعو ألا يترك الساحة في ساعة المحنة ، وإلا فقدت القيادة سمتها الرئيسة ، وهذا ما فعله الحسين ، فإيمانه بحق الأمة في حكم نفسها ، ظل القاعدة الأمينة التي استند اليها في مقارعة أعداء الأمة . واستباحة هذه القاعدة هي التي فرضت على الامام الخروج على يزيد والتوجه الى العراق ، استعداداً لدك معاقل الخارجين على شرعة الأمة وسارقي حقها في حكم نفسها ولصوص قوتها وما من شك في ان المشاهد التي انتفضت من المدينة ، لتواكب الحسين حتى مصرعه ، في كربلاء مشاهد تنتظم عقداً عجيباً من الفواجع التي لم تعرف حدوداً ، ففيها أنين ليل عجيب ، لأنه لم تزل أصداؤه تتعالى وتتعالى : ليل فيه تنكر أصحاب له لم يتنكروا للظلم الذي لف أرض السواد بسواده ، وقبل هذا التنكر الغريب ، . تمت المؤامرة عليه ، لا في الكوفة حسب بل في المدينة ايضاً ، ذلك ان اخراجه بأي وسيلة من المدينة ، سيفسح المجال للطامعين في الخلافة من اهتبال هذه الفرصة الذهبية وها هو ذا ابن الزبير ينصح الامام الحسين قائلاً : «على أي شيء عزمت يا أبا عبد الله ؟» فلما أعلمه بعزمه الأكيد على اتيان الكوفة قال له ابن الزبير : «فما يحبسك . فوالله لو كان لي مثل شيعتك بالعراق ما تلومت في شيء» ولكن ماذا عن هؤلاء الشيعة وقد نبذهم شرفاؤهم ، ملتحقين بابن زياد والي الكوفة الجديد ، وقاتل مسلم بن عقيل ، الأمير الذي وضع نصب عينيه خدمة العرش الأموي ويزيد بالذات ، لأن ابن الدعي كان يريد ان يثبت أصالته الأموية ، وليكن هذه المرة متفنناً مع المنقضين على هذا الحكم المبني على الجماجم ، المتجلبب بالجاهلية ، المتخذ من طاغوت يزيد رحماناً له ، يستذكره ويستخيره ويلوذ به ، عملاً بشريعة الحكام ، الذين جاؤوا الى الحكم وأنوف الناس في الرغام وعيونهم في أقفيتهم ، وجباههم في مواطىء أقدامهم . وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد استهل ابن زياد ولاية الكوفة بقوله : «أما بعد ، فإن أمير المؤمنين . . امرني بانصاف مظلومكم واعطاء محرومكم» توطئة لقوله : «والشدة على مريبكم . . وسيفي وسوطي على من ترك أمري وخالف عهدي[1]» وهذا التهديد وحده كان للتعرف على حق ابن زياد ، ولمعرفة موقفه الحاسم وتلون منطقه بين الانصاف والشدة ينبىء بعقليته المتجبرة المخاتلة ، التي تعطي بيد لتسترد بيد اخرى . . ان زياد هذا ممثل الحكم المكيافيلي ، المتحصن بسيوف اشراف الكوفة

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني .

ومرتزقتها ، يقف في قبالة الحسين ، الامام المؤمن بحق الثورة على الظلم والانتفاض على الشر واقتلاعه ، هذا الأمير ـ في عرف الحكم والواقع الراكض كالكلب وراء هذا الحكم يلهث من جوع وعطش يريد ان ينتزع البيعة لسيده يزيد بالقوة والعنف والتسلط ، وان ينزل الحسين على حكمه خاضعاً يعطى اعطاء الذليل ، فإذا كانت نتيجة مساعي عمر بن سعد بين الاثنين ؟ كانت نتيجته قول الامام : لا ، معاذ الله ان انزل على حكم ابن مرجانة أبدا[٢] . وفي هذا الجواب فعل الخطاب في الرد على المتعللين بحجج الانتكاس والنكوص ومن ثم فلا مرد للموت ولا سبيل الى حياة الأجيال من غير الوصول الى شريعته المقدسة دفاعاً عن حق الناس في حكم أنفسهم ورفع الغبن والجور والسلطان عن كواهلهم ، ولو كانت القلة الرائدة في الدفاع عن هذا الحق أقل من آل الحسين وصحبه وبذلك كانت ريادته ـ في هذا الشأن ـ حافزاً قوياً لا يمكن نسيان أثره ، في كل الفعاليات الثورية التي هزت أركان حكم الطغاة من يوم استشهاده ، وسط أحوال تعجز شم الجبال احتمال بعض من وطأتها . ولكن صدر الحسين برحابته التي تتجاوز كل رحابة ، يأبى إلا أن يحمل الأمانة ، فتعقد ـ من أجل ذلك ـ مقاليد الريادة في جيده ، حقاً لا ينازعه فيه منازع . . ومن أجل ذلك ، قد امتلأ صدر ابن زياد بسم الحقد والضغينة والشماتة ، فكان أمره وقد فارقت روح الحسين جسده الفاني أن «يوطأ صدر الحسين ، وظهره وجنبه فأجريت الخيل عليه»[٣] وهكذا ترى كيف يمكن ان يكون شموخ التحدي بديلاً لا مفر منه لذل الطاعة العمياء ، الذي يولد مع الناس الأذلاء ، الذين يستطعمون الهوان فيستذوقونه ، ولو على حساب عمى قلوبهم قبل عيونهم . . وأمام هؤلاء الناس يقف الحسين يداً تطرد العمى من النفوس والبصائر قبل الأبصار يداً تفتح العيون لترى اين هي سادرة ، ولخدمة من تتمرغ على جنوبها ، في وقت يعز عليها حتى القيام والنهوض ، ومشاهد الامام كثيرة ومتنوعة تغري كلها بالتأمل والاعجاب ، مشهده وهو يقف الموقف الصلب تجاه الوليد بن عتبة والي المدينة ، الرجل الثعلب الذي يحاول الاغراء بمختلف السبل والاشراك ، لكن دون جدوى . مشهده مع مروان بن الحكم وما كاد يتطور اليه من نتائج ، ومع ذلك فالامام قائم بأمر الأمة لا يحيد ولا يميد ، وبذا ذهبت كل محاولات يزيد وعبيد يزيد ادراج الرياح ومشهده وقد وصل ارض الكوفة ، وعرف بمقتل مسلم بن عقيل ، وبالقدر المقدر عليه ، والعطش الذي عاناه مع آله وصحبه ، الذي فرض على الجميع توطئة لذلك القدر ، ومشهده وهو يخطب قومه ويريد منهم اعتزاله ، لأنه أوصلهم الى ما أوصلهم اليه كل تلك المشاهد تزلزل الجبال الرواسي ، ولكنها عجزت عن المس بوتر من أوتار أعصاب الامام الحسين وهذا أمر واقع وحقيقة فذة ذلك ان المشاهد التي أراها على مدى التاريخ العربي والاسلامي ـ لم تستطع مهما آتاها الحظ ـ ان ترقى سفح الجبل الذي قمته مشهد ثورة الحسين ، واستشهاده الفاجع مع من استشهد معه ، ومن ظل من اتباعه ينتظر الشهادة بعده ، احتذاءاً بأسرته واقتفاءاً لأثره فالمثل الذي ينتصب شامخاً أمامنا والقدوة التي تجتذبنا اليها

(٢) (٣) المصدر السابق .

بكل تلك الروعة والجلال ، والدرس الذي خطته على جبين الزمن تلك الشهادة اليتيمة ، والرمز العظيم الذي حفر في كل قلب حزاً نديا أبد الدهر ، والصفعة التي كالها الامام لوجه طاغوت الظلم والشر والاستبداد ، كل ذلك يحفزنا على ألا نمر بالعاشر من المحرم مر العابثين السادرين في غي الافيون ، اللاهثين وراء ملذات الجسد والتراب ، المتنكبين الجادة ، باسم الدعة والاطمئنان ، وهم اولى بالسكينة الذليلة ، والنكوص الا ذل ، وعار السكوت ! هذه الخواطر وأصداؤها كانت تثير فيَّ منذ زمن بعيد ، وكنت آمل الكتابة عنها بين الحين والحين ، غير ان المناسبة التي كنت انتظرها كانت تفلت مني لهذا السبب أو ذاك . . اما لأنها كانت غير مؤاتية ، أو ضعيفة الاستجابة ، أو عرضية أو ظاهرة الانفعال والتكلف . وكل ذلك لا يفيد في إثارة دخائل النفس وتحريك أغوارها وكشف مظانها لتكون قاعدة الصدق في الحديث وبؤرة التعبير الأصيل وعلى كثرة ما قرأت عن المأساة ، فإن الذي كنت أفتقده أشد ما يكون الافتقاد هو خلو أدبنا العربي ـ وفي القرن العشرين بالذات من أثر مسرحي واحد يعالج المأساة عرضاً درامياً جديراً بجلالها ومدلولاتها وصنوف تأثيرها في مجمل التاريخ والأدب وكل دروب الحياة ، انطلاقاً منها ورجوعاً اليها تقويماً للدرس وصيانة للأثر ، وفضحاً للاستار الكثيفة من تبريرات الحكام ، وتلبيات أذنابهم وجلاوزتهم وكتبت مسرحيات من اوائل القرن وتابعتها اخر وكلها عن المأساة لاهية متغاضية ، متجاهلة ، وكأن الطالبيين واشياعهم لم يهزوا التاريخ هزات متواليات . وكان انتظار طويل ، كنت احسبه ليلاً داجياً مديد العمر ، خلت منه النجوم والأقمار .

وأغلب المسرح العربي يعني بكثير من توافه الشخوص فيضعها هنا وهناك في مجالات الصراع الهزلي منحدراً بالملهاة من شامخ اهتماماتها الى حضيض المهزلة المبتذلة ، جراً لمغانم آتية ، من طريق اثارة أوسع الاجواء الهزيلة الهزلية ، التي تتلاعب بالأحاسيس الرخيصة .

غير ان استطالة الزمن مع هذا النحو من المسرح ، وهذا النوع من الإثارة قد أعاقت نمو مسرحنا وأخرت انفتاحه على المسرح العالمي ، الذي لا يعرف قيمة للعبث والعابثين . وطال هذا الانتظار اكثر مما يجب ، حتى وجدت نفسي وبمحض المصادفة قبالة ثنائية (الحسين ثائراً ـ والحسين شهيداً) لعبد الرحمن الشرقاوي . وقرأت الثنائية بنهم ما بعده نهم ، واستطعت ان أقول بعد جهد جهيد : «وجدتها» فما الذي وجدت ؟ وهل أوفى الشرقاوي بالعهد ؟ وهل تمكنت الثنائية من تسليط الأضواء على المأساة ؟ وهل استطاعت ان تملأ الفراغ المرعب بالاسلوب المشرق شكلاً ، وبالروح الحية مضموناً وادراكاً ؟ ليس لي بعد هذا إلا أن أحاول الإجابة عن هذه الأسئلة فلأفعل . .

ها نحن في رحاب المسرحية الاولى ، فماذا تجد اول ما تجد ؟ جماعة من أهل المدينة تنادوا للاجتماع في دار احدهم للتشاور في أمر الأمة بعد أن قضى معاوية نحبه ، وطبيعي ان تثور المناقشة في هذه المناسبة لتتناول قضايا مهمة ، فمؤيدوا الحسين ينصرون توليته الحكم بحجج : منها ان الامة ليست غير الفقراء ، وان حكم الأمة ينبغي ان يستند الى الشورى ، وان الشورى التي كان معاوية يتوسل بها ـ وهو في دست السلطان ـ لم تكن إلا لاستكمال أبهة الحكم . ولهذا كانت الشورى ـ بهذا المعنى ـ

فخاً لاصطياد الضعفاء ، من طريق رجال كان كل همهم وعملهم ومشاركتهم في السلطة ، لا يتعدى نطاق كلمة «نعم» الخبيثة ، وإذا كانت دولة الظلم قد ولت وأدبرت ، فإن معاوية لم ينس ان يمد ظل هذه الدولة على ابنه يزيد . ومن ثم انتفت الشورى ، لأن الناس لم يؤخذ برأيهم ، ولو أجبر بعض سادتهم على بيعة يزيد اجباراً ، أو دفعتهم مصلحتهم الى هذه البيعة اختياراً فامارة يزيد لا بد ان تثير «النقمة . . . في النفوس الطيبة» لأنها «بيعة اكراه وخوف . . وطمع» ولما كانت الارادة الطوعية أول شرط من شروط البيعة ، وانتفاؤها في قضية تولية يزيد واردة أصلاً ، فبيعته منقوضة شرعاً : والرجل الوحيد الذي يمكن ان يحظى بهذه الإرادة الطوعية هو الحسين ، فولايته هي الولاية الشرعية الوحيدة حتى لا تتحول دولة الشورى الى ارث مؤرث لآل أمية ، فالبيعة لا يمكن ان تنال قسراً أو طمعاً ، وإلا انقلبت الى تسلط قيصري أو كسروي ، وهذا معناه الاستهتار بأبسط شرائع القوم .

أما أصحاب يزيد فلا يذهبون مذهب الأكثرية ، لأن الحسين وأصحابه أصحاب تقوى وورع ، و(الدولة تحتاج الى كيد سياسي حصيف) ذلك بأن لكل زمان دولة ورجال ، وقد مضى عهد التقوى والورع ، ليحل محله عهد جديد هو عهد السياسة الحصيفة والكيد والمكر . . وبما ان الحسين لن يسلك إلا مسلك أبيه ، فيحكم الأمة كما كان ابوه يفعل ، بما عرف به من عدل وانصاف وتسوية أمور الناس على وفق الحق والخير ، بالضرب على أيدي الظالمين والأخذ بنصرة الضعفاء والمسحوقين وهذا لا يتفق - في شيء - مع مصالح الأغنياء الأقوياء ، الذين يريدون من الدولة ان تكون أداة طيعة في أيديهم للاستزادة من الاستغلال ، والتحكم في الرقاب ، والارتفاع على الكواهل كما كانت الحال أيام معاوية ، وكما كان يريدها ان تكون بعده ! وبعد الاتفاق بين الوليد وابن الحكم ، الاتفاق الذي يفلسفه الأخير بقوله : «كثرة الآراء تغري بالتردد ، ان ضرباً في رقاب الضعفاء سوف يعطينا ولاء الأقوياء» يجتمع حاكما المدينة بأبي عبد الله ، فيعلمه الوليد ببيعة يزيد المزدوجة ، بيعته التي يريد يعقدها الآن والاخرى التي عقدت قديماً ، اما الاولى فليس لها قوام شرعي لأنها «أخذت في ظل ارهاب البوارق» أما الثانية التي يراد لها مثل الذي أريد للاولى ، فهي لا بد أن تكون قسراً واغتصاباً وتحت حد السيف وعندئذ لا بد أن يكون الأمر قائماً على الارهاب أو الطغيان أو البغي» وفي تلك الحال ينحسر الحق عن أهله ويصبح المال والقوة والاستبداد مطايا لافساد الضمائر وتخريب النفوس وسحب ثقة الناس من أنفسهم ومن قادتهم .

ابن الحكم يمتطي صهوة المال ليحول بينه وبين خير الناس ، فهو صاحب بيت المال ، فمن حقه اذن أن يجود على من يرضيه وأن يقبض يده عمن لا يرتضيه ، لأنه يتصور نفسه ظل الله على الأرض ، بكل زهو وخيلاء . وظل الله ذاك ، لا يمكن إلا أن يكون الممثل الشرعي لمصالح سادات قريش ، الذين لا يمكن ان يرتضي لهم ابن الحكم الهبوط من عليائهم ليكونوا سواسية مع رعاة الماشية . بيد ان الحسين لا يجد الحال كذلك ، بل يراه على الضد من ذلك ، فالعمل وليس المحتد هو الذي يسبغ على الانسان القيمة الحقيقية لوجوده . الحسين يرى «الناس سواسية كأسنان المشط» ولكن «الظلم (الذي) يعشعش في أعماق

النفوس الخربة» هو الذي جعل الناس طبقات ، جعلهم ذئاباً جائعة في غابة جرداء من كل الحيوانات غير الذئاب ، فمن الحتم ان يأكل بعضها بعضاً ، درءاً لخطر الموت جوعاً ، وهو خطر رهيب ! ويتقدم بما في جعبته من رأي سديد ، فإذا باغراء العطاء يزداد أكواماً أكواماً ، ان كان أبو عبد الله راغباً في السلامة : وتجنب عواقب الفتن ولظى الثورات والانشقاقات والانقسامات والحرص (على الحياة الآمنة) الرضية ، في جو الرفاه وبحبوحة العيش .

بيد ان كلمة الحرص التي يلوح بها الوليد ، لا تلبث لحظة إلا وأن تنفجر بركاناً في قلب ابي عبد الله (حرص لعين) لأنه يهون قيمة الانسان فهو كالخوف يهدر إباء الرجل العزيز ، من غير ان يطيل عمره لحظة واحدة وبعد أن يعجز الوليد عن استلال كلمة واحدة توميء الى شيء يسير من الاهتمام بما يراوغ به لتكن كلمة واحدة وحب من الحسين ، ويجد باب الإباء موصدة في وجه تشبثاته واحتيالاته وألاعيبه ، يعود الى آخر سهم في كنانته ، فيطلب من عبد الله بضراعة غريبة ان يعتزل الناس ، ويعتكف على تدريس علوم الدين والتقوى وهم الآخرة !!

ولكن الكلمة التي يستسهلها الحاكمان بأمرهما ، تظل في وجدان الحسين معنى المعاني ، لأنها تعني الشرف والرجولة والمروءة والنبل ، ومتى ما استلبت بالقهر والجور ضاعت كل هذه المعاني وتبددت كل هذه القيم ، فالكلمة التي (زلزلت) المظالم وحصنت (الحرية) وأصبغت على الانسان انسانيته ، تصبح مقبرة لمثل هذه الانسانية إذا ما ديست في ثنايا التراب ، بفعل الظلم وما يفتعله الطاغون من أفانين ! ومن ثم فالحسين يقف الموقف الصحيح الوحيد ، لأنه لا يمكن أن يقف موقفاً غيره ، وقد عرف شرف الكلمة وأدرك قدسيتها وارتضى لنفسه طائعاً مختاراً الدفاع عن وجودها تأريخياً . وبذا شق الحسين الطريق الصحيحة في التاريخ العربي والاسلامي ، على نهج سيرة أبيه التي لم تعرف المهادنة أو المساومة ، أو المخاتلة ، أو المراوغة . وهذه الجدية من الحسين والحزم والعزم ، جعلت ابن مروان يستل سيف الاجماع لمحاربة الحسين بدعوى ان الخروج على الاجماع بدعة وشق لعصا الطاعة ، ومن ثم فمقاتلة الخارجين على طاعة أمير المؤمنين واجب ينبغي تنفيذه وبأسرع وقت ممكن تجنباً لإراقة الدماء ، ودرءاً للشقاق والانقسام .

مروان ينصح الوليد بهذه المشورة بعد ان يكون الوليد قد عجز عن اقناع الحسين بالبيعة ، ولكن أبا عبد الله يفوت على الوليد فائدة المشورة التي محضها له مروان ، فلا يجد معنى للانتصاح ولا للراحة و(الحق والحرمات والعدل) أيعرفن معنى للراحة واستباحة كل منهن شرط من شروط هذه الراحة ؟ فمن حق الحسين اذن ألا يجامل في مثل هذا الحق ، وألا يها دن أو يصانع ، أو يداجي أو يجاري . . ان المسألة مسألة مبدأ ، ومتى ما تزحزح أساس المبدأ ، لم يبق لكيانه ان ينتظر شيئاً غير الانهيار . وثبات المبدأ ـ عند الحسين ـ أمر مفروغ منه . ولهذا فقد تحتم على الوليد ان يتعثر بأذيال خيبته ، وأن ينهار هو أمام صمود الحسين وأن يتبدى هذا الانهيار في كلماته : «علام يقوم اذن ملكنا ؟ أنبنيه فوق ذيول الكلاب ؟ أنبنيه فوق ذليلي الرقاب . . فوق رؤوس الثعالب» وبهذه الكلمات التي لا تحتاج الى شرح وإفاضة ، يدمغ الوليد ـ صاغراً ـ حكم الظلم بميسم الذلة والصغار والتفاهة ! وفي منظر آخر نجد بعض

اتباع الحسين يرتأون عليه هذا الرأي أو ذاك وكلهم مخلص فيما هو فاعل إلا الشيخ أسد ، الذي يبرر التنازل بوفائه لخير الجميع ، وحقناً للدماء التي سالت بما فيه الكفاية ، الشيخ أسد هذا يضرب على وتر تجنب الفتنة لأنها ستؤدي الى (القتل والحرق وألوان الخراب) وعلى ذلك فالحكمة تفترض التنازل ، ولو اكراهاً واعتسافاً وتفترض المسايرة والمجاراة . . وهذه هي حال الدنيا على كر العصور وتعاقب الأيام . الحكمة هذه يرفضها الحسين رفضاً باتاً ، لأن (أكثر الناس ضلالاً عارف بالله لا يهديه قلبه) وعلى ذلك فإن كان هذا الرفض سكوتاً ، فلن يصيب الحسين الهدوء الذي يرتجيه ، لأنهم لن يهدؤوا ولن يطمئنوا ان لم يدركوا ما يطلبون ومن الحسين بالذات السكوت قد يكون مجلبة للاصلاح وبرداً وسلاماً ، ولكنه لن يفسر إلا بصفته الحقيقية ، بصفته رفضاً للبيعة ، وإشارة للانتفاضة ، وليس للحسين اذن من خيار غير الانتفاض والثورة على الظلم .

ادلهم الخطب اذن ، وجاء دور الامتحان امتحان الضمير واختبار صلاحه واثبات صموده أمام الملمات والكوارث والمحن . ترى أيمكن لأبي عبد الله ان يمنح يزيد (بيعة ذل) ليطمئن على نفسه وآله وشيعته (مثل شاة في قطيع) ؟ «أم ترى يجهر بالثورة في وجه الطغاة ؟» السؤالان واردان وهما جناحا مأساة الحسين ومأساة كل قائد انساني في موقف يماثل موقف الحسين . .

وفيما أبو عبد الله يتأمل في أشباه هذين السؤالين ، يظهر له عن كثب أخوه محمد بن الحنفية ، كأنه اعصار جبار هب ليقتلع أركان الطغيان ، وكل جبار عنيد ، هب ليطالب الحسين وأتباعه أن ينقذوا العالم (المجنون الذي ضلّ طريقه) أن ينقذوا (الدنيا من الفوضى وطغيان المخاوف) وكيف لا وقد (قامت لأهل الشر دولة) ؟ فماذا يكون من عزم الحسين وقد رأى أخاه ناراً تتأجج تتماوج ، ورجولة كلها إباء وشمم ، أيكون أخوه أمضى منه حداً ، وأهدى منه سبيلاً ، وأشد منه على البغي مقتاً ؟ يقسم أبو عبد الله ألا يترك الظالم حتى يأخذ حق المظلوم منه ، واذن هي الثورة ، هي الحرب العوان التي لا محيص منها ولا مناص . وهنا تبرد حرارة محمد بعد التهابها ، لأن الحرب تعني ما تعني بالقياس الى الحسين ، وهو ـ وقد جد الجد ـ لا يريد لأخيه أن يحل به ما حل بأبيه ، فلهذا السبب بالذات تضرع بأخيه أن ينأى بنفسه عن الخطر ، لأن أعداء الحسين من أغلظ الناس أكباداً ، وأشدهم حقداً ، وأبعدهم صيتاً في تأريث العداوة ، وأفظعهم فتكاً ، ولكن ماذا يعني ذلك النأي عن الخطر ، ألا يعني قبول بيعة طاغية مستبد ؟ ألا يعني بيع كل ما ثمن وغلى وشرف واعتلى ، في سوق النخاسة ، في مقابل ذلة ذهبية ويقرر الحسين أمره قراراً لا رجعة فيه ولا انتكاس ، وتسمع أخته زينب بهذا الأمر ، فتهتز لوعة وأسى ، لأنها تعرف معنى ذلك الأمر وذلك القرار ، ويتدارك مخاوف زينب بالتلويح بالنداء فيقول «فإذا نوديت فلا مهرب» معلقاً قيامه بالأمر بهذا النداء . وتدرك زينب ما في قرارة أخيها فتقول : «فلينهض غيرك للأشرار ، فليس لأهل البيت سواك» وهنا ينطق الحسين بلسان القدر قائلاً : «جف القلم بما قد كان !» فلا فائدة اذن من تضرعات زينب أو محمد ، ولا مندوحة من الجهاد في ساعة عسيرة تتطلب الجهاد . صحيح ان الدولة قد شيدتها المطامع والمخاوف ، فما هو صانع في هؤلاء الذين اختطفتهم المطامع لبيعة يزيد أو دفعتهم المخاوف لهذه البيعة ؟ هؤلاء بحكم مصلحتهم

أعداء ألداء ، ولهذا السبب بالذات لا بد أن يحسب لهم كل حساب وأن يقرر ما يمكن ان يقرره في حقهم ، فيما لو استتب له الأمر ورجع الحق الى نصابه .

وتشتد الحال سوءاً وتتضافر زمر الأعداء في المدينة ، حتى لا يجد الحسين مفراً من اللجوء الى مكة ، وهناك يلتقي بابن عمه ابن جعفر ، فيعلمه الأخير بكل تفاصيل المؤامرة المدبرة بحقه من قبل زبانية يزيد ، ويُزيد على ذلك رأيه في مهادنة الطغاة ، حتى تهدأ سورة يزيد ، وينفسح له المجال ، بعد أن يشتد ازره ، فينتقض على ما فعله من مهادنة ، ويكون قد تمكن من تحقيق مأربه ، والوصول الى هدفه ، في ظروف غير الظروف التي يمر بها الحسين وهو لائذ بأعتاب الكعبة . وهنا وقد رأى أبو عبد الله ما رأى من ابن عمه ، تهبط على نفسه كآبة حزينة سحابة داكنة من الأسى ، تثقل على نفسه ، وماذا تكون حاله غير تلك إذ «أصبح الخير طريداً ، وغدا الحق شريداً ، والدنايا تزدهي بالطيلسان» ؟

ماذا ينتظر من باطل يعتلي عرشاً ؟ ومن ملك ملكه الزيف والنفاق والدجل ؟ ومن حكم مبني على الرياء والبغي والمذلة والمسكنة ؟ ومن دنيا ذليلة ، الخوف فيها ملك ذو سلطان وصولجان ؟ ومن حياة كلما طالت أصبحت ناراً وعذاباً وشراً لا تصيب إلا الرجال الأخيار ؟ عند ذاك لا بد أن (يختنق ضوء النجم في الليل الثقيل) وتصبح الحكمة مذلة ، ويرتفع صوت الفجور عالياً ، وينخفض إباء النفوس ليحل محله سلطان الارهاب وعار الطاعة ، (ويصير الصمت والاذعان من حزم الأمور) ويتم للسلطان كل ما يشتهيه من أفانين الاستعباد والاستذلال والاسترقاق ، فلا تعود الدولة إلا ضيعة كبيرة يتلاعب بمصيرها السلطان كما يتلاعب الطفل بالكرة !

الأمور تتأزم تأزماً شديداً وبصورة سريعة مذهلة ، فماذا يفعل أبو عبد الله ؟ لا بد له أن يفعل شيئاً ليتأكد من أحوال شيعته في الكوفة ومدى تأييدهم له . وماذا يفعل خيراً من ارسال ابن عمه مسلم . ويذهب مسلم بن عقيل ويستقبل استقبال الفاتحين ، ويحاصر ابن زياد في قصر الامارة ، ولكن مكر الأخير الذي عرف به سرعان ما يحول الحصار الى مطاردة تتعقب آثار مسلم ، حتى يتم القبض عليه وتلقى جثته من أسوار القصر المنيف . وقبل أن يتم ذلك تكون رسائل مسلم ومؤيدي الحسين قد وصلت الى أبي عبد الله . ويكون التشاور الأخير بين الحسين وخاصة أتباعه قد وضع اللمسات الأخيرة على المنظر الجديد ، المرعب ، الفاجع ، الذي كان ـ في الواقع تجسيداً درامياً حياً لإرادة الحسين في شق الطريق نحو الشورى والحرية والكرامة الانسانية . ولما كان هذا التشاور منحى خطراً حاسماً في طريق الشوك والآلام والمآسي ، طريق الدم والموت والفجيعة ، طريق الحسين . فلا مناص من الالمام ولو الماماً يسيراً بما جرى قبل أن يتخذ أبو عبد الله قراره النهائي . محمد بن جعفر يعرض حقيقة ابن زياد بقوله : «انه يملك في الكوفة آلات الفساد . . يملك المال والسلطة ، والضمير الميت القادر ان يلوي أعناق العباد وهذا يعني أنه يريد من ابن عمه التمهل والانتظار ، بينما حال الحسين تنطق بهذه الكلمات : «لا . . بل انهض لأناضلهم . . لا بل انهض ضد الظلم وضد البغي وضد الجور» حفاظاً على حقوق الضعفاء ، وأخذاً بأيديهم ، لأن المنكر لا ينبغي السكوت عنه حتى الموت . وآراء الحسين هذه تثير حزناً عميقاً في نفس ابن جعفر ، لأنها تشير الى نهاية معلومة مسبقاً ، فليقدم ابن جعفر اذن

وساطته فعسى ولعل . . غير ان الحسين وقد أدرك ما هو فيه من حرج ، من ذئاب الليل وثعالب النهار ، من صمته الثقيل الفظيع ، من الخنجر الغدار الذي سيطارده أينما يمضي ، لا يرى مفراً من التحدي لأنه الطريق الوحيدة الباقية أمامه . وخاصة وقد وصلته رسالة مسلم وصرخات المعذبين في أرض العراق ، فضلاً عن أنه ـ لو فرضنا المستحيل ـ والتزم أبو عبد الله الصمت فهو لن ينجو من احدى اثنتين إما البيعة وإما الموت . وهكذا قدر للحسين أن يسير ليرد (غاشية المظالم) وإذا كان الحسين سيقتل وهو مقتول حتماً بسبب الظروف الغريبة في الكوفة ، فإن العبرة ليست في قتل الحسين . إنما العبرة فيمن قتلوه ولماذا قتلوه ؟» العبرة في الثأر الأعظم ، ثأر الحسين ، في الثأر من كل سفاح مهما يكن ، ومن تابعه من قتلة الحسين على مدى التأريخ الذي وضع أبو عبد الله أساساً جديداً له ببعد نظره وحكمته وأصالة ايمانه بحق الفقراء والضعفاء الذين ظلوا ينتظرون مخلصاً من السماء قروناً وقروناً ، فجاء استشهاد أبي عبد الله تعبيراً جديداً لهذا الخلاص ، لأنه انبثق من ارادتهم في أن يكونوا بشراً أسوياء ، لا ماشية هملاً يساقون للذبح ، وهم محنيو الرؤوس ، متثاقلو الخطى ، عبيداً لإرادة جبار عات شديد ، كريه ، مقيت ، اسمه (ملك) لأنهم جميعاً مملوكون . وقبل أن نساير أبا عبد الله ، في مسيرته الدامية ، ينبغي لنا ان نلتفت الى سلوك ابن زياد وكيف تمكن من لي رقاب أهل الكوفة ، ابن عروة يجد الأمر غريباً كل الغرابة ، وفي الحق انه غريب ، إذ كيف ينقلب الناس بين عشية وضحاها هذا الانقلاب المفاجىء ومن ثم فمن حق ابن عروة ان يتساءل : «كيف بالله قلبت الأمر حتى صار لك ؟» فيجيبه ابن زياد ضاحكاً : «قد أخفت الناس حتى رهبوا ، وبذلت المال حتى رغبوا» ، وطريق ابن زياد هذه ، هي طريق جميع الساسة الطغاة ، المحنكين الذين لا يعتبرون «الحياة غير صياد وصيد» ومن ثم ففي الغابة الكبيرة لا يعيش أخو عدل لا يملك سيفاً قاطعاً وقوساً ونشاباً ، وإلا كان هو أول الصيد . وموقف ابن زياد هذا موقف منطقي ومنسجم مع مجمل سلوكه ، غير أن سلوك أسد الحربائي ، الذي تمثل بالتلاعب بالمشاعر ، والتنقل من صف الى صف واللعب على حبال المساومة والمخادعة ، هذا السلوك هو الذي ينبغي ان يفتح عيون الناس جميعاً ، فأسد الحجازي صاحب الضياع الواسعة في الكوفة ، لا يمكن ان يكون ـ بأي حال ـ مؤيداً للحسين ولو تظاهر ـ في أول الأمر بذلك ـ لأن مصلحته العليا تتنافى ومصلحة الحسين وأتباعه ، والسائرين في اثره . . مصلحة هذا الرجل جعلت منه منادياً متطوعاً يبحث عن رأس مسلم قبل مقتله ، وجعلت منه سنداً يركن اليه ابن زياد باطمئنان وثقة ! ومشهد الاختلاف في قضية مسلم بن عقيل مشهد فيه خصوبة درامية رائعة التفنن ، عميقة التحليل ، سليمة المنطلق ، قوية الأداء زخمة العطاء . فالمختار الثقفي يمثل الجانب الثوري الصادق ، يمثل الموقف الصارم الحازم الذي لا يعرف التساوم أو التخاذل أو التراجع ، المختار يذكر القوم بالعهد والذمة ، ويحذرهم من الخيانة والجبن ويستثير إباءهم وشهامتهم ومروءتهم وها هو يعبر عن كل ذلك بقوله : «تذكروا إن نحن خنّا عهدنا ماذا يكون ؟ ستعربد الأشباح فوق شموخنا . سيبصق الأطفال فوق قبورنا . .» .

ويؤيد (الشيخ) المختار في رأيه الصائب

الجريء ، غير انه يتملص من هذا التأييد باستناده الى حجة القدر البالية ، فالقدر هو الذي رمى القوم بابن زياد ، ومع انه (فاجر يقتل بالظنة والريب ويلهو بالدماء) فهم مضطرون للاذعان له ، ذلك «ان المكره المضطر لا اثم عليه» وهكذا تغدو (الحكمة والرأي . . والتقوى) تجارة رابحة ومصداق ذلك هو ما يتفضل به (التاجر) من آراء ، ومن هذه الآراء الحكيمة : «هذا الرجل (يعني ابن زياد) المعطاء يعطي في سخاء» وعلى ضوء هذه الحكمة يسير سائر شيوخ مذحج ومراد ، فإذا بالرؤوس تنحني أمام الذهب ، وإذا بالحشود التي نفرت لنصرة الحسين وتضافرت لاستقباله ، تتناثر وتتبعثر وتتلاشى ، وإذا بالمختار يبقى وحيداً يتآكل قلبه الكمد لأن «الآكلين على المآدب كلها ، السابحين وراء تيار الزمن ، الباحثين عن السعادة في الخضوع المطمئن ، المائلين الى الشموس إذا طلعن . . يتسلقون الى ذؤابات الشجر ، وهذا التشبيه المتسلسل للوصوليين ، فيه ايماضات ولمعات تخطف البصر لما فيها من وهج الحق وسلامة المنطق وإصابة الهدف ودقة الوصف ، وإذا أضفنا الى ذلك قول المختار وهو يدمغ المنافقين بما يستحقون من سمة ! الطابعون على شفاههم ابتسامات النفاق مطيعة تحت الطلب . الراسمون على ملامحهم جهامات الكآبة والتأمل والترقب» استطعنا ان نحس بالنار التي كانت تسري في عروق المختار وهو يجد الحق يذبح ذبحاً ، والباطل ينتصر انتصاراً رخيصاً هيناً ، وعيون القوم غافية ، بل غاطة في نوم عميق ، سخيف ، ثقيل ، ذليل . وتمضي صيحة المختار هذه لتلف نفسها بطيات الرياح الهوج ، ويبقى المختار مثخن النفس جراحاً ، مثقل الروح هماً ، لأن العاقل من ينافق ، لأن المجرم من يجابه السلطان ، لأن (من يشرب قلبه بغض الحاكم تكثر أحزانه) وبخاصة و(الناس يؤخذون بالنوايا . . بالأفكار المكتومة ، بالخلجات والخفقات وهمس الهمس) هذه هي فلسفة ابن زياد وهي فلسفة ذوي السلطان طوال هذه الدهور الموغلة في العراقة والقدم ولو لم يكن الأمر كذلك لما كان يمكن لنخاس كابن زياد ان يبتاع ولاء الأمة بحد السيف أو ببارق المطامع ، فيتمرغ الادنون في الذهب كما تتمرغ الحمر في أكوام التبن ، وإلا ما تتداعى أشراف الكوفة على الذهب ، كما تتداعى الغربان على الجثة النتنة ، وإلا ما مس الأبرار ضرٌّ وإباؤهم أغلى من ذهب الدنيا قاطبة . وإلا ما(دب على قدميه الرجل وليس سوى جدث في نعش» كما يقول المختار محسناً في القول والتشبيه معاً . وإلا ما استطاع ابن زياد أن يكون قضاء الله حالاً في الدنيا يأخذ الناس بالهمس بل الخلجات الراجفات . وممن يقف في صف المختار زيد ابن الأرقم ، الفقيه ، المفكر الذي يخشاه ابن زياد أشد الخشية ، لأن الرجل ذو فكر ، فهو اذن أخطر أهل الأرض طراً ولأن الفكر أو الفقه لا يمكن أن يجد له موضع قدم في ظل الارهاب وظلمة الجور ، وغاشية القهر .

وهذا أمر يصح قبوله حتى عند الشيخ أسد ، الذي لا يفلسف إلا ما يصلح شأنه ، ويعلي مقامه لدى الأمير الجليل ابن زياد !

والى هذا البلد ، المكفهر ، المقهور ، الخانع لابن زياد ، يتوجه أبو عبد الله ، وهو يحسب أنه يتوجه الى بلد المكرمات والمروءات البلد الأمين ، الذي سيحمي ذماره ، ويفتح له صدره ، ليكون منطلقه الى ما يصبو اليه من نصر على الطواغيت ، وهم في عقر دارهم .

وبعد مسيرة العديد من الأيام ، في أشد

ما تكون هذه الأيام حراً وغباراً ونصباً ، تصل قافلة أبي عبد الله الى مشارف الفرات ليستقبلها عدد ضئيل من أصحابه في الكوفة ، وعلى رأسهم برير فزعين من جور ابن زياد لائذين بالحسين ثم يتبعهم أعرابي مع ثلة من صحبه ، يتوج هؤلاء جميعاً شيخا مراد ومذحج ، يتم اجتماع بين كل اولئك وأبي عبد الله ومن معه . وتتطاير أخبار الشر ويتضح مقتل مسلم وتلوح الكارثة التي تنتظر الجميع ويدلي الأعرابي بدلوّه وينصح الحسين قائلاً : «عد ولا تمض الى من خذلوك» فيرد عليه الامام بعزم راسخ : «إنما هذا طريقي ليس لي غير ارتياده» ويتفضل شيخ مراد على القوم بنصيحته : «نحن يا سبط رسول الله لا نغدر بك ، غير اني حائر والله في الأمر ، إذا كانت هي الحرب الضروس ، فكلا الحزبين مسلم» فإذا النصيحة حكمة الشيوخ ، حيرة ظالمة مظلمة ، حيرة تنكر حقاً ناصعاً ، لتحل محله باطل الذل ، وسقم المسكنة ، وفقر الضمير ، والتشبث الرخيص بنشب الدنيا الحقير لزوغان في البصر وعمى مصطنع ، وضلال مفتعل . . فما مرد كل ذلك وما مصدره ؟ ان مصدر كل ذلك ، وكل ما له صلة بذلك عن تبريرات وتحذيرات وتحفظات ، هو الخوف من تحمل المسؤولية في الساعة الحاسمة ، الخوف الذي يفسد في الانسان فعالية الحرية واختيار المواقف وتحديد التخوم ، الخوف الذي يقهر النفوس الضعيفة ، فيبدد قيمها ويحطم روحها ، ويمزق كيانها الانساني شيخ مراد هذا يعترف بهذا الخوف قائلاً : «ان بعض الخوف يقهر . .» فيرد عليه الامام قائلاً : «أن تخاف الله أولى بك من خوف الولاة» وعند هذا الحد الحاسم من المسألة ، يضع شيخ مراد القضية في موضعها الانساني بقوله : «ان هذا الامتحان لنبي . . نحن لسنا أنبياء» وفي هذا الوضع الذي يصطنعه شيخ مراد تتبين لنا حقيقة ذات دلالات ، وهي ان اعتماد «الأشراف» لقضية شريفة ، أمر فيه كثير من المحاذير في ساعة الحسم ساعة تقرير المصير ، لأن مصلحة «الأشراف» قد تتضارب مع القضية الشريفة ، في أغلب الأحيان ، وعندئذ تكون طريق الخذلان ، طريق الأمن والسلام والعافية ، هي الطريق الوحيد التي يسلكها «الأشراف» لكي تبقى نعمتهم في محلها الرفيع وجاههم ، في علياء مقامهم عند ذوي السلطة والنعمة والأيادي البيض والخيرات الكثيرات . و«إذا ما سامهم (السلطان) سوم الابل» واقتضاهم ميثاق الذل وبيعته فليس لهم إلا أن يخنعوا ويستظلوا بظلال اولي النعم ، لأن هذا شرط من شروط الوجاهة والحكمة والشرف والسيادة . وإذا كانت زينب أخت الامام ، تريد أن تعمل شيئاً من أجل ان ينفر الرجال في نصرة أخيها ، فإنها لم تجد فيما أجادت فيه خيراً من قولها : «لأنْ يُشهر سيف فوق هام المفسدين الظالمين ، لهو عند الله أزكى من جهاد المشركين» ذلك ان في هذا القول حقاً ، وان يكن جريحاً ، فهو حق منتصر لا محالة في النهاية . ويأتي دور شيخ مذحج ليجيب عن سؤال بشر : «انكم أصحاب حق . . فلماذا تنكصون ؟» فإذا به يقول لافض فوه : «نحن نرجو أن يعود العز فينا ، غير أنّا ينبغي أن نتشاور» فما هذه الشورى في ساعة الخوف ، غير (غطاء للنذالة) كما يقول سعيد والبطش الذي هو أداة الخوف ، (يخفى الحق حتى عن عيون العقلاء) ويجعلهم كما يقول برير (يتسعكون ببعض وديان الضلال) وهكذا ضاع الحق ، وانثلم حده ، وتناثر أنصاره بدداً ، في مواجهة نهر الفرات ، ليتسلم نثاره أبو

عبد الله ورهطه في وحدة قاسية ، الصحراء من خلفهم ، وطاعون العدو ، وجراده ، وأزلامه ، ومحاسيبه ، يزدادون عدداً ، ويقل أصحاب الحق ساعة بعد ساعة ، حتى لا يظل - في الساحة منهم غير سبعين وحسب - ومن هذا المشهد المهيب ، وطريق اللاعودة ، واللاخلاص لراية المبدأ ، يبدأ الموكب الفاجع ، موكب الشهداء ، في السير نحو الحتوف ببطولة خارقة ، وشجاعة تمرغ جباه الجبابرة .

سر الاخلاص في تضحية الحسين(ع)

الشيخ محمد حسين المظفر

سيدي أبا عبد الله ان ماحل بك يوم الطف من قتلك وقتل الغرانيق صباح الوجوه من اهلك ، ومن قتل فئة بها ليل من صحبك ، ومن ذبح رضع ارتشفت دم النحور عن الماء ومن سبي عقائل الرسالة ومخدرات الامامة . لقليل عنده الدموع الحرار وان اعتصرت من القلب دما ، ولو تشققت المرائر وتفتت الاكباد جزعا لهول هذا الحادث لكان دون مايبعثه ذلك الخطب الافظع من ألم - وهذا الذي ابكانا وسنظل له باكين عمر الدهر -

ولكن ان القيت نظرة على مئات الملايين من البشر الذين اهتدوا - وسيهتدي أضعافهم - بتلك التضحية الغالية وعرفوا الحق فاتبعوه من تلك الرسالة التي نطقت بها دماؤكم السافحة : استشعرت الأنس ، ومن الذي لايسره أن تحيا أمة من الضلال ، ومن الذي لايرضيه ان يتخلص عالم كبير من الشقاء ، فما اجلها تضحية خسرها الاوائل وفاز بها الاواخر تضحية فئة لاتزداد على المئة تستيقظ بصائر عشرات الملايين من رجال كل جيل تدلهم على نجد الحق ، وسبي ثلة من نساء وولدان لاتزيد على الثمانين يستخرج عشرات الملايين من نساء كل عصر من هوة الشقوة ، ذلك سر الاخلاص في التضحية ، ورمز الصدق في الهداية ، واستنكار الفساد في الارض .

وبهذه التضحية الكريمة تمت الحجة من المنقذ الاعظم صلى الله عليه وآله على الامة جمعاء وما هذه التضحية الا تجديد للرسالة الاحمدية أو سر من أسرارها الالهية ، أو كنز هدى أودعه الرسول في الناس لينفق في أوانه .

ولا امسك قلبي من الارتياح عندما أجدني مستضيئاً بنور تلك التضحية فابكي فرحا - والبكاء قد يجيء من الفرح - وأود لو اني شقيت ليسعد سيد الشهداء بالحياة ، أو اني فنيت دونه ليخلد أبو الاسباط في دار الفناء ، فبكائي عليه أسفا ، وبكائي من الهدى فرحا ، فانا باك أبدا .

في ذكرى عاشوراء

الدكتور انطوان كرم «لبنان»

استاذ الادب الحديث في الجامعة الامريكية وعميد كلية الآداب اللبنانية سابقا

«انما الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»

ألا فليتبارك الموت الذي هو اليقظة الكبرى وليتبارك لانه سبيل البعث والحياة التي لاحد لها واذا كان الموت سبيل الحياة ، فإننا لم نحتفل لاحياء ذكرى ، ولاسترجاع حداد على فواجع مصرع ، وانما نحتفل بالحياة التي انبثقت من الموت ، وبالبداية التي انطلقت من النهاية ، لتنمو بوجود مكثف مستديم .

تتجسد الفكرة انسانا ، ويزول الانسان ، وتعظم الفكرة بزواله . كأنها لم تتجسد الا بموته . أو كأنها كانت في ارتقاب خروجه من حدود المكان ، وعبودية الزمان ، لتكسر قيد المكان والزمان . وتخرج من الشكل الواحد لتكتسي في انعطافها الوف الاشكال .

فمن الامام الاول ، كرم الله وجهه ، الى العاشر من محرم ، في السنة الهجرية الستين مرحلة تنتهي في التاريخ ليبدأ بها التاريخ وينتهي الانسان لتحيا الفكرة . فتورق اغصانه وتتفرع ، وتعمق جذورها وتترسخ ، لتصبح شجرة حضارية قائمة بذاتها . حتى اذا بلغت الفكرة منتهى مجالاتها البعاد ، عادت ، فابدعت صاحبها ابداعا جديدا وغدت رمزا قدسيا ، وهالة من جلال .

ولئن كان الوجود الحق مرهونا بمدى الاسهام الذي نسهمه في عمارة الحضارة ، فحسبك أن يسقط من حصيلة التراث العربي ما اسهم به اعلام الشيعة ، ليهوى جناح عظيم من هذا البناء العتيد .

ولئن كان التاريخ تعبيرا عن مرافق النشاط البشري في اعلى عطائه ، فانظر كيف تعددت المرافق ، وتجمهرت فنون النشاط ، وتلقح فيها السامي بالآري ، ليرتقي التراث الى مستواه الانساني الاشمل .

فاطلب الفكر ينبئك ماكان من طبيعة العقل عندهم ، يعد من المجمل ليستقصي التفاصيل ويتبع الظلال المكنونة وراء التفاصيل : بالمنطق حينا ، والتأمل حينا ، والعلوم الموضوعية حينا اخيرا . حتى تدرك الاصول بالاجتهاد المؤول ويستوي التأمل مشوباً بالغنوسطية ، خصيبا بالتصوف ، مرتقبا الى النور العلوي الشعشعاني من جوهر الانسان الكامل . أو هو يغوص على اسرار الطاقة الروحية في الانسان ، فيعلل اسباب الوصال بين الراهن المتناهي ، والغيبي اللامتناهي . يستفسر الامامة والعصمة ، ويفك اللغز من التخيير والتسيير ، ماقدر للعقل ان يقلب معاني الغيب . ثم ترى هذا العقل نفسه يصهر المعارف الانسانية كيفما وقعت له ، وبمنزعه